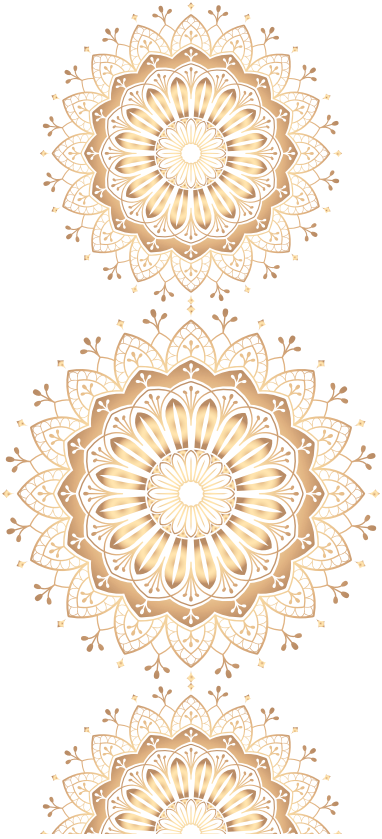

رياض الزهر

في تدبر الوصايا العشر

من القرآن الكريم

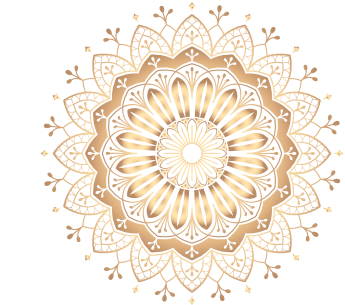

رياض الزهر

في تدبر الوصايا العشر

من القرآن الكريم

إعداد

الفريق العلمي في مركز تدبر ـ سوريا

تقديم

د. ثائر علي الحلاق

أيمن عبد الحميد خطاب

الشيخ أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

فريق البحث العلمي في مركز تدبر ـ سوريا

لجنة البحث:

أحمد خالد المراد

أحمد خضر المحمد

فيصل أيمن قطّيع

عبادة بوادقجي

أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

وسيم عمر كلاوية

إسراء محمد معيط

❁ ❁ ❁

التدقيق اللغوي:

حسن إسماعيل قنطار

❁ ❁ ❁

التدقيق والمراجعة:

أيمن عبد الحميد خطاب

محمد موسى حمرين

أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

❁ ❁ ❁

المراجعة العلمية الشاملة:

د. ثائر علي الحلاق

❁ ❁ ❁

لجنة التنسيق والتصميم:

أنس خالد عليان

محمد العمر

❁ ❁ ❁

مشرف ومنسق الفريق:

محمد موسى حمرين

❁ ❁ ❁

الإشراف العام:

أيمن عبد الحميد خطاب مشرف مركز تدبر

❁ ❁ ❁

مقدمة مشرف مركز تدبر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فهدى بنوره من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فهذه هدايات علمية، وتأملات فكرية، من ثلاث آيات من كتاب الله ﷻ استنبطها إخواننا (**فريق البحث العلمي في مركز تدبر**)، مبدوءةً بقوله ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمْ

وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتقُونَ﴾ لتخرج في حلةٍ قشيبة باسم (**رياض الزهر في تدبر الوصايا العشر**) ومما لا شك فيه أن هذه الوصايا، تعد لبنات أساسية في بناء الفرد والمجتمع الإسلامي التي من تمسك بها نجا وحاز السلامة في الدنيا والآخرة، فهي وصية الله تعالى لنا، وهي أول التوراة، وهي الصحيفة التي عليها ختم النبوة، وهي التي بايع عليها رسول الله ﷺ، وهن من الآيات المحكمات، إلى غير ذلك من الفضائل والمزايا.

فحقيق بالمسلم أن يتأملها ويتدبرها، لتكون له نورًا يضيء له الطريق عبر مشواره الطويل إلى أن يلقى ربه ﷻ علىَ صراط مستقيم.

أما عن المنهج المتبع في البحث فإنه يتلخص بالآتي:

* ترتيب الوصايا مرقمة حسب تسلسلها في كتاب الله ﷻ.

* تضمين كل وصية عنوانًا مستقلاً مناسبًا في بابها.

* تفسير الوصية تفسيرًا إجماليًا ميسرًا لجلاء المعنى المراد.

* بحث ما تتضمنه الوصية من فوائد وهدايات من أمهات كتب التفسير المعتبرة، مع الإفادة التامة من أقوال أئمة التفسير، واستخدام المصادر وتوثيق المعلومات.

* ختم الوصية برسائل عملية مركزة تحث على المبادرة للتطبيق والعمل على المستويين الفردي والمجتمعي.

وفي الختام... نسأل الله ﷻ لإخوانكم في مركز تدبر أن ينفع بهم البلاد والعباد والحاضر والباد، وأن يجعلهم مسددين ومباركين أينما كانوا، وأن يعينهم على خدمة كتاب الله ﷻ في إصداراتٍ قادمةٍ نافعةٍ لأمتهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أيمن عبد الحميد خطاب

مشرف مركز تدبر/ ٧ صفر ١٤٤١

تقديم الدكتور ثائر الحلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَـإِنَّ خَيْـرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْـرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَـرَّ الأُمُـورِ مُحْدَثَاتُهَـا، وَكُلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَـةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَـةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِـى النَّارِ.

إن بقاء القرآن هو عزاؤنا الوحيد عن ضياع مواريث الرسالات الأولى، لأنه استوعب زبدتها، وقدم ـ من خلال هداياته ـ خلاصتها ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]، ومما لا يشك عاقلٌ بأنه لا سبيل لإنقاذ الأمة اليوم من تخلّفها وضياعها وتمزقها إلا بالعودة إلى كتاب ربها: فهمًا وتدبرًا وعملاً، فهو الدليل الذي يهدي والإمام الذي يتبع، زاخر بجوامع الكلم، وجواهر الحكم، وأسرار الوجود، وكنوز المعارف، وذخائر القيم، وروائع التوجيه، وسواطع البراهين، وبكلمة جامعة فقد ضمّ هذا الكتاب علم الأولين والآخرين، ومن هنا تأتي أهمية تدبّره وفهمه.

إن هذه الرسالة التي بين أيدينا تناولت الوصايا القرآنية العشر الواردة في سورة الأنعام ـ والتي أنزلت قبل أربعة عشر قرنًا ـ وقد تضمنت تلك الوصايا ـ تصريحًا أو إشارة وتلميحًا ـ ما تتغنى به البشرية اليوم وتظنه من ثمار العصر الحديث ما أطلق عليه اسم حقوق الإنسان، إذ شملت

الضرورات الخمس التي دعا الإسلام لحفظها، وهي: الدين والنفس والعقل والمال والعرض، ففي الوصية الأولى دعوة للتوحيد من خلال النهي عن الشرك، والتوحيد أساس الحرية الحقة، فلا حرية لمن يعبد حجرًا أو يقدس بشرًا، وهي أساس الإخاء والمساواة؛ لأنها تقوم على اعتقاد أن الناس جميعًا عباد الله ﷻ، فهم إخوة متساوون، وليس بعضهم أربابًا لبعض، وفي النهي عن الشرك ـ كما جاء في الوصايا ـ حكمة بالغة لما فيه من اغتيال للعقل البشري، وهبوط بصاحبه من مرتبة السيادة على الكون إلى الخضوع لمخلوق مثله سواء كان جمادًا أم نباتًا أم إنسانًا؛ ولأن الشرك وكر الأباطيل وكهف الضلالات، فقد دعا القرآن إلى عبادة إله واحد، وهو المبدأ المشترك بين الرسالات جميعًا، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن سورة الأنعام قد عرضت لحقيقة التوحيد بعناصرها الثلاثة ألا تبتغي غير الله «ربًّا»، ولا تتخذ غير الله «وليًّا»، ولا تبتغي غير الله «حكمًا».

وفي الوصايا تقرير لحاكمية الخالق ﷻ على خلقه؛ فلا مشرّع سواه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، كما قررت الكرامة الإنسانية أبلغ تقرير، فحق الإنسان في الزواج وتكوين الأسرة رجلا كان أو امرأة، وحقه بعد الزواج في الإنجاب، وحق الذرية في الحياة بنين كانوا أو بنات، ولذا حمل القرآن على الوأد وعدّ ذلك إثما عظيمًا، وكذا حق كل إنسان في

الحياة ما لم يرتكب جرما يبيح دمه، وحقه كذلك في صيانة دمه وماله، وهكذا فقد عني القرآن عناية فائقة بحقوق الضعفاء من بني الإنسان خشية أن يجور عليهم الأقوياء أو يهمل أمرهم الحكام.

وهكذا فهذه الآيات الكريمة موضع الدراسة قد جمعت وصايا «إيمانية» و«عبادية» و«معاملاتية» بخمس أوامر وخمس نواهٍ، أشارت من خلالها إلى أنه من لم يعبر صراط الدنيا لن يعبر صراط الآخرة، ومن لم يثبت هنا لن يثبت هناك، وختمت بالتقوى للتأكيد على أنها غاية الأمر الإلهي والنهي، فإن لم يتصف بها المرء ما أسهل عليه ـ ساعتئذ ـ أن يتمرد على كل القيم الدينية والسلوكية، بعد أن بينت ـ بجلاء ـ أن التقوى الحق لا تتجلى إلا في موافقة وحي السماء دون تزيّد أو تنقّص، ومن هنا لا تقبل من أهل البدع بدعتهم ولو كانوا من أعبد الناس وأصدقهم.

ويعظم شكرنا لفريق البحث العلمي في خطوته الرائدة هذه، إذ تجاوز من خلال مشروعه هذا كثيرًا من الدراسات النمطية التقليدية عن القرآن الكريم والتي صبغته بلونها الشخصي أو المذهبي أو العصري؛ فاتجه اهتمامها لتسليط الضوء على الأحكام الفقهية، أو المسائل الكلامية والفلسفية، أو المباحث اللغوية والبلاغية، في حين غُيِّب الكلام عن التدبّر، وغاب في ثنايا تلك الموسوعات، مع أنه غاية الغايات وأوجب

الواجبات لتحقيق مقومات الشهود الحضاري: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٩]، وكأن ترديد الألفاظ دون حسّ بمعانيها ووعي لمغازيها هو المقصود، ومن تكلم عنه جاء كلامه على استحياء شديد لا يفي بحاجة العصر المعرفية.

نأمل من الإخوة الأفاضل أن تستمر جهودهم الكريمة في هذا الاتجاه الصيّب النافع، كي نقدم للأجيال الناشئة زادًا معرفيًّا متميزًا قوامه تدبر الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، إذ لَيْسَ شَيْءٌ ـ كما يرى ابن القيم ـ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِيهِ.

وقبل أن نطوي الكلام في هذه المقدمة لا بد أن نشير إلى أنه لن نتدبر القرآن ـ كما يرى الغزالي ـ حق التدبر إلا بالتخلي عن موانع الفهم وحجبه، وأهمها: الانصراف إلى تحقيق التجويد ومخارج الحروف دون سواهما كما يحصل في هذا الزمان، وثانيها جمود التعصب والتقليد لفرد أو مذهب، وثالثها الإصرار على ذنب أو اتصاف بكبر أو ابتلاء بهوى، وهذه أعظم حُجُب القلب، وكلما زادت غدا القرآن ـ عند من زاغ قلبه ـ أكثر غموضًا وتعقيدًا، وقد شرط ﷻ الإنابة لتحقق التذكّر والفهم، حيث

قال في التنزيل العزيز: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨]، **وقوله** ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ذلك أن القرآن كما يكون لقوم هدى يكون لآخرين عمى.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

د. ثائر بن علي الحلاق

مدرس في قسم العقائد والأديان بجامعة دمشق

تقديم الشيخ أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ؛ نحمدُهُ، ونستعينُ بهِ، ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠ـ٧١].

أمّا بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمّدٍ ﷺ،

وشرّ الأمورِ محدثاتها، فإنّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

إن من أعظم الكرم الرباني، والمنح الإلهي للعبد أن يوفقه لخدمة كتابه، علمًا وتعليمًا، فهمًا وتدبرًا؛ فخير الناس أهل القرآن العاملون به، العارفون بما فيه، ولا يأتي المعرفة والعمل إلا مع كمال التدبر. وهذا من خير ما يجنى، وأعظم ما يحصل من تدبر كتاب الله، ولو لم يكن من فائدة إلا هذا فحسبك به.

فمن أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون، وأغلى ما يضحي لأجله المضحون، ويشتغل به العارفون؛ تدبر كتاب الله ﷻ الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وهذا بحمد الله الإصدار (٦)، من إصدارات «مركز تدبر» والذي يسعى لإحياء سنة التدبر والمدارسة، وهي من سنن السلف التي كانوا عليها، وقد كان من منَّة الله أن وقع الاختيار في تدبر آياتٍ حوت من الخير أعظمه وأشمله، ومن الفوائد والنصائح أحسنها وأعلاها، وإن كان الله قد فضل الرسل بعضهم على بعض، فإنَّ سور القرآن وآياته لها كذلك من الميزة والفضل والكرم.

وهذه الآيات هي من خواتيم سورة الأنعام، وقد تضمنت عشرَ

وصايـا ربانيَّـة حواها القرآن الكريم، جَمعت حُسن الأسلوب، وسهولة البيان، وترتيب الأولويات الشرعية، بدءًا من التوحيد ونفي الشرك، وختامًا بالأمر بالوفاء بالعهد، مع التأكيد على أنَّ ذلك وصية الله لخلقه.

فإلى مثل هذه ينبغي الاهتمام، وفيما تحتويه من الخير واجب العملِ الذي ينبغي أن يشتغل به أهل الإيمان.

وقد شملت هذه الوصايا علاقة الإنسان مع خالقه، ونفسه ومجتمعه، وتضمنت: وصايا عقدية، وتعاملية، وعبادية بمناحيها.

ويأتي فضل تدبر هذه الآيات على وجه الخصوص، في ظل الواقع المرير الذي تعيشه الأمـة الإسلامية، من انتشار بعض مظاهر الجاهلية، ورسوخها في بعض المجتمعات الإسلامية، ليكون الاختيار على هذه الآيات الربانية، خير معالج لتلك المشكلات العصية بكلام الله تعالى الذي فيه خير الدنيا والآخرة.

وتدبر هذه الآيات من خير الخطى، وأفضل الوسائل في الدعوة إلى تدبر القرآن، كما أنه من خير السبل المنقذة لهم من الضلال والحيرة، ودواءٌ عاجلٌ لهم من الأمراض السارية، كيف لا؟ وهي خطاب الله تعالى للرسول ﷺ في تكليفه في دعـوة الناس إليها، وتدبر معانيها، والعمل بما فيها، كما أنها وصية رسول الله ﷺ التي عليه ختامها؛ كما رواه الترمذي

من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، الآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.(١)

والله نسأل، وبه نتوسل، أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به عباده، ويتقبله، إنه على كل شيءٍ قدير.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١ ـ ١٥٣].

❁ ❁ ❁

(١) رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام جـ ٥/ ص ١١٤ وقال: (حسن غريب)، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترمذي»، (٧/ ٧٠).

مقدمات بين يدي الآيات

أولاً: تعريف بسورة الأنعام:

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من أخذ السبع الأُوَلَ فهو حبر»[١]. فقوله: «من أخذ»، أي: من حفظها وعلّمها وعمل بها، و«الحبر»: المتبحر في العلم، وذلك لكثرة ما فيها من أحكام وتشريعات.

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيتُ مكان التوراة السبع الطوال ومكان الزبور المئين ومكان الإنجيل المثاني وفضّلتُ بالمفصل»[٢].

وسورة الأنعام من السبع الطوال التي أوتيها رسول الله ﷺ مكان

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٧٣ و٨٢)، والحاكم (١/ ٥٦٤)، وغيرهما، وقال الحاكم: (صحيح الإسناد)، وقال الألباني: (فالحديث حسن أو قريب منه)، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٣٨٥).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢١٩٢)، وحسّن إسناده الألبانيّ في السلسلة الصحيحة (١٤٨٠).

التوراة، ويؤثَر عن عمر ﷺ أنه قال: «الأنعام من نواجب القرآن»[١].

نزلت بمكّة بعد سورة الحجر، وقد نزلت سورة الحجر بعد سورة الإسراء، وكان الإسراء قبل الهجرة إلى المدينة بسنة، فتكون سورة الأنعام من السور التي نزلت بين الإسراء والهجرة، عدد آياتها مئة وخمس وستون، وتمتاز بكونها أطول السور المكّيّة سوى سورة الأعراف، وقد عُدّت هذه السورة الخامسةَ والخمسين في عدّ نزول السور[٢].

وسميت ـ والله أعلم ـ من تفصيل حكم الأنعام من الإبل، والبقر، والضأن، والمعز فيها[٣]؛ إذ تكرر فيها لفظ الأنعام ستَّ مرات، وتسمّى أيضًا سورةَ الحُجّة؛ لأنَّها مقصورة على ذكر حُجّة النبوّة «الحجة على الكفار وتقرير العقيدة»، وأيضًا فقد تكرّرت فيها كلمة الحجّة مرتين: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام:٨٣]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩][٤].

ولمجاهد أثر عند عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وغيرهما قال:

---

(١) رواه الدارميّ (٣٤٤٤) وفيه ضعفٌ يسير.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ١٢٣).

(٣) الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين (٣/ ١٧).

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (١/ ١٨٧).

نزلت سورة الأنعام كلها جملة واحدة معها خمسمئة ملك، يزفونها ويحفونها[١]، ومجاهد يأخذ عن ابن عباس ﷺ، ومثل هذا لا يقال بالرأي، وهو أقوى ما ورد من الآثار في فضلها.

وقيل في حكمة إنزالها جملة واحدة ما يأتي:

قطعُ تعلّل المشركين في قولهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] فقد توهموا أن تنجيم نزوله (أي تنزيله مفرقًا على فترات) يناقض كونه كتابًا، فأنزل الله سورة الأنعام، وهي في مقدار كتابٍ من كتبهم التي يعرفونها، كالإنجيل والزبور، ليعلموا أنّ الله قادرٌ على ذلك، إلا أنّ الحكمة من التنجيم أولى بالمراعاة.

أن يحصل الإعجاز بمختلف أساليب الكلام من قصرٍ وطولٍ وتوسّطٍ؛ فإنّ طول الكلام قد يقتضيه المقام[٢].

إنها مشتملة ـ كما ذكر فخر الدين الرازي- على دلائل التوحيد والعدل والنبوءة والمعاد، وإبطال مذاهب المعطلين والملحدين، فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزله الله على قدر حاجاتهم،

---

(١) وإسناده صحيح الدر المنثور (٣/ ٢٤٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ١٢٢).

وبحسب الحوادث، وأما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله الله جملة واحدة[١].

وسورة الأنعام أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدها في الاحتجاج على سفاهة أحوالهم، من مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام:١٣٦]، وفيما حرّموه على أنفسهم مما رزقهم الله[٢]، وعن ابن عباس ﷺ، قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة في سورة الأنعام، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠] إلى قوله ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]»[٣]

ثانيًا: الغرض من السورة:

أغراض سورة الأنعام متعددة، سنشير إلى أهمها:

ـ تقرير التوحيد والنبوّة، ودحضُ مذاهب المبطلين والمشككين، فقد ابتُدِئت بإثبات الوحدانية والنبوّة، تمهيدًا لمناظرة المشركين فيهما، وخُتِمَت ببيان أن النبي ﷺ ليس منهم في شيء (أي بريء منهم) بعد أن

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٢/ ٤٧١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ١٢٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب جهل العرب جـ ٤ ص١٨٤.

أبطل شبهاتهم، وأنّ ما أتاهم به هو دين أبيهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وأنّ الله ﷻ لم يخلقهم عبثا ولم يتركهم من غير تكليفٍ إذ جعلهم خلفاء له في أرضه[١]، قال أبو إسحاق الإسفرائيني: في سورة الأنعام كلّ قواعد التوحيد.[٢]

ـ بيان المحرمات وذمّ ما ابتدعه المشركون من تحليل للمنكرات وتحريم للطيّبات، تقرّبًا لأصنامهم، عن ابن عباس ﷺ قال: «إِنَّ في الأنعام آيات محكماتٍ، هنَّ أُمُّ الكتاب، ثُمَّ قرأ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] الآية»[٣].

ثالثا: المناسبة:

الآيات السابقة لهذه الوصايا كانت عرضت لحال المشركين من أهل الجاهلية، وأفعالهم الشنيعة التي أحلوا فيها ما حرم الله، وحرموا فيها ما أحل الله؛ اتباعًا لأهوائهم، وتقريرًا لأعرافهم، قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ

---

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين (٣/ ١٧).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ١٢٣).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣٢٣٨) (٢/ ٣٤٧)، وافقه الذهبي في التلخيص.

وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٠].

فبعد أن حرّفوا وبدّلوا، جاء النداء لتصحيح المسار: لا حلال إلا ما أحلّ الله، ولا حرام إلا ما حرّم الله، ولا شرع إلا ما جاء عن الله، أو بلغّه رسوله ﷺ، قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، فليس هناك اختياراتٌ أو أهواء تقدّم شيئًا أو تؤخره، وإلا كان ذلك ضربًا من مناقضة أصل الإيمان، ومخالفة صفاء التوحيد.

لذلك لما أبطل الله ﷻ دينهم كله أصولاً وفروعًا في التحريم والإشراك، وبيَّن فساده بالدلائل الواضحة، ناسب أن يخبرهم بالدين الحقّ مما حرّمه المَلِك الذي له الخلق والأمر؛ إذ ليس التحريم لأحدٍ غيره فقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾[١] والمناسبة لهذا الانتقال ظاهرةٌ؛ فالمقام مقام تعليمٍ وإرشادٍ، ولذلك ابتدئ بأمر الرسول ﷺ بفعل القول استرعاءً للأسماع[٢].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣١٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٥٥).

وقد انقسمت الأحكام التي تضمنتها هذه الجمل المتعاطفة في الآيات الثلاث إلى أقسام وهي:

الأول: أحكام بها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس، وهو ما افتتح بقوله:

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾.

الثاني: ما به حفظ النظام الاجتماعي وقواعد تعامل الناس مع بعضهم، وهو المفتتح بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ...﴾.

الثالث: أصلٌ كليٌّ جامعٌ؛ وهو اتباع طريق الإسلام وتجنب سبل الضلال، وهو المفتتح بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾.

وقد ذيّل كلّ قسمٍ من هذه الأقسام الثلاثة بالوصاية به بقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ ثلاث مراتٍ[1].

❁ ❁ ❁

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٥٦).

الوصايا

توطئة:

عن عبادة بن الصامت ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] حَتَّى خَتَمَ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ، فَمَنْ وَفَّى فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئًا أَدْرَكَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ أَخَّرَ إِلَى الْآخِرَةِ، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»[1].

وقد اشتهر عند أهل العلم تسمية هذه الآيات (١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣) من سورة الأنعام **بالوصايا العشر**؛ نظرًا لتذييل آياتها الثلاث بقوله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾. وقد جاءت خمس منها بصيغة النهي، وخمس بصيغة الأمر.

وهي تشتمل على أصول المحرمات في الأقوال والأفعال، وأصول الفضائل وأنواع الخيرات، فهي تجمع ما نهي عنه وما أمر به من الكليات

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٤٨)، وقال الذهبي: صحيح.

التي تستقيم بها الحياة، ابتداءً من اعتقاد القلب ويقين النفس، وانتهاءً بفعل الجوارح والسلوك، ومرورًا بألفاظ اللسان وأقواله، وتعريجًا على العلاقات والصلات والمعاملات والأحكام والتشريعات، فهي شاملةٌ لذلك كله، ففيها قوام الدين والدنيا.

ووصفها ابن مسعود ﷺ بأن عليها خاتم محمد ﷺ، فقال: «من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ هذه الآيات: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾»[1]، والمراد بذلك أنها آيات محكمة غير منسوخة.

في القرآن الكريم مجموعتان من الآيات أطلق عليها بعض العلماء آيات الوصايا العشر؛ نظرًا لاشتمالها على عشر وصايا عظيمة من الله للبشرية:

الموضع الأول: هو الآيات محلّ الدراسة من سورة الأنعام.

والموضع الثاني: في سورة الإسراء، ويكاد أن يكون شرحًا للموضع الأول، وتبدأ من قوله ﷻ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ...﴾ [الآية ٢٣]، وتنتهي بقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...﴾ [الآية ٣٩].

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ١١٤)، وقال: «حسن غريب»، وضعفه الألباني، أنظر: «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٧/ ٧٠).

المطلب الأول: أصول جامعة

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

أولاً: التفسير الميسر للآية

قل ـ أيها الرسول ـ لهم: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم: أن لا تشركوا معه شيئًا من مخلوقاته في عبادته، بل اصرفوا جميع أنواع العبادة له وحده، كالخوف والرجاء والدعاء، وغير ذلك، وأن تحسنوا إلى الوالدين بالبر والدعاء ونحو ذلك من وجوه الإحسان، ولا تقتلوا أولادكم مِن أجل فقر نزل بكم أو حاجة؛ فإنّ الله يرزقكم وإياهم، ولا تقربوا ما كان ظاهرًا من كبير الآثام، وما كان خفيًّا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق، وذلك في حال القصاص من القاتل أو الزنى بعد الإحصان أو الردة عن الإسلام، ذلكم المذكور مما نهاكم الله عنه،

وعهد إليكم باجتنابه، ومما أمركم به، وصَّاكم به ربكم لعلكم تعقلون أوامره ونواهيه[١].

ثانيًا: الفوائد والهدايات التربوية

أ ـ الوصية الأولى: نبذ الشرك بالله، وتتضمن الأمور الآتية:

﴿قُلْ﴾ أمرٌ من الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرّم الله، وهكذا يجب على من بعده من العلماء أن يبلغوا الناس ويبينوا لهم ما حرّم الله عليهم مما حلّ، لقوله ﷻ: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧][٢].

في تصدير هذه الوصايا بكلمة ﴿قُلْ﴾ إشعارٌ من أول الأمر بأنّ هذا البيان الإلهي، ليس للرسول فيه إلا النقل والتبليغ، وفي ذلك دلالة على أنّ المأمورَ به يحتاج إلى مزيد عنايةٍ واهتمامٍ، وسورة الأنعام زاخرةٌ بهذا الأسلوب التلقيني الذي يبدأ بكلمة قُلْ[٣].

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم﴾ هذه الآية الكريمة أبطلت ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام من تشريعات وعقائد.

---

(١) التفسير الميسر (١/ ١٤٨).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٣١)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٨٥).

(٣) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٣).

﴿تَعَالَوْا﴾ فعل أمرٍ من التعالي، وهو تكلّف الاعتلاء، ثم نقل إلى طلب الإقبال مطلقًا، وأصله أن يقوله من كان في علوٍّ لمن كان في سفلٍ فاتسع فيه بالتعميم[١]، فهي تتضمن إرادة تخليص المخاطبين ورفعتهم من انحطاطٍ هم فيه إلى علوٍّ يراد لهم ويدعون إليه[٢]، وتتضمن كذلك أنّ المتكلم يريد منهم أن يلتفوا من حوله لتتحد وجهتهم، ولا تتفرق بهم الأهواء والسبل، وكأنّه يقول لهم: أقبلوا إليّ صاعدين من حضيض الجهل والتقليد وسوء المذهب إلى أوج العلم ومحاسن الأعمال[٣].

وفي قوله: ﴿أَتْلُ﴾ إيماءٌ قويٌّ بأنّ المتكلم يقدّر حال المخاطبين إلى درجة أنهم لا يحتاجون في الإرشاد إلا أن يتلو عليهم ما يريدهم أن يعملوه، ثم هم بعد ذلك سيمتثلون وذلك لحسن استعدادهم لقبول الحق، وإنه لأسلوب قد بلغ الغاية في اللطف، والتكريم، وحسن الموعظة، وتوجيه الخطاب[٤].

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ في نسبة التحريم إلى الربّ ـ الذي هو

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٥٦).

(٢) تفسير البيضاوي (٢/ ١٨٨).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣١٧).

(٤) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٤).

واهب الخير والإحسان ـ برهان على أن بيده ﷻ التحليل والتحريم، وفي ذلك حضٌّ لهم على التدبر والاستجابة؛ وهو كذلك مربيّهم، بما تحمله كلمة الربوبية من معاني القوامة والتربية والتوجيه والحاكمية، فليس معقولاً أن يحرِّم عليهم ما فيه منفعةٌ لهم(١).

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ذكرت فيما حرم الله عليهم أشياء ليست من قبيل اللحوم ـ كما في الآيات التي سبقتها ـ إشارة إلى أن الاهتمام بالمحرمات الفواحش أولى من العكوف على دراسة أحكام الأطعمة، تعريضًا بصرف المشركين همّتهم إلى بيان الأطعمة وتضييعهم تزكية نفوسهم وكفّ المفاسد عن الناس(٢).

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ابتدأ بهذه القاعدة التي يقوم عليها بناء العقيدة، وترجع إليها التكاليف والفرائض، وتستمد منها الحقوق والواجبات، قبل الدخول في الأوامر والنواهي، والشرائع والأحكام؛ إذ يجب أن يعترف الناس أولاً بربوبية الله وحده في حياتهم، كما يعترفون بألوهيته وحده في عقيدتهم(٣).

---

(١) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٥٧).

(٣) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤)، وانظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٢٩).

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الشرك بالله من الكبائر الموجبة لدخول النار ولا تشملها الرحمة والغفران، وحقيقة الشرك بالله أن يعبد المخلوق، أو يعظّم، أو يصرف له بعض خصائص الألوهية والربوبية[١]، كالذين يطيعون الأصنام البشرية، فيعظّمونهم، ويخضعون لهم، ويوافقونهم بما يخالفون به شرع الله عز وجل، ففي هؤلاء يصدق قول الله عزّ وجلّ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة:٣١]، وسياق الآيات يدل أنّ هذا النوع من الشرك له حضوره؛ إذ ما سبقه كان تحريم المشركين غير ما حرّم الله[٢].

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إنّ المجتمع الذي يقوم على إيثار الله على كلّ ما سواه هو المجتمع الفاضل الرشيد، أما المجتمع الذي يشرك بالله أحدًا أو شيئًا، فإنّه مجتمعٌ مضطرب منحلّ[٣].

ابتدأ بالنهي عن رذيلة القوة النُّطْقيَّة التي هي أشرفها؛ فإنّ رذيلتها أكبر الكبائر ومستلزمةٌ لجميع الرذائل، بخلاف رذيلة أخوَيها من القوتين البهيمية الشهوانية والسبُعية، فنهى عن الشرك ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا

(١) تفسير السعدي (٢٧٩).

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٣٠).

(٣) الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين (٣/ ١٤).

بِهِ شَيْئًا﴾، وعقّبه بالإحسان للوالدين، ثمّ نهى عن قتل الأولاد خشية الفقر، ثمّ بيَّن رذيلة القوة البهيمية لأن رذيلتها أظهر وأقدم، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾، ثمّ أشار إلى رذيلة القوة السبعية بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾[١].

بدأ بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك إشارةً إلى أنّ التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل، إذ التقية بالحِمية قبل الدواء، وقرن به البرّ لأنّهما من باب شكر المنعم وتعظيمًا وإنكارًا لأمر العقوق، ثمّ أولاه وأتبعه بذكر جُرم القتل الذي هو أكبر الكبائر بعد الشرك، وبدأ بقتل الولد لأنّه أفحشه، وأفحش من مُطلقِه فعلُه خوف القلة[٢].

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ خص التحريم بالذكر مع أن الوصايا قد اشتملت على المحرمات وعلى غيرها؛ لأن سياق الآيات قبل ذلك كان منصبًا على كشف ما اخترعه المشركون من تحريم في الحرث والنسل ما أنزل الله به من سلطان، ولأن بيانَ أصول المحرمات يستلزم حِلَّ ما عداها لأنه الأصل[٣].

---

(١) تفسير القاسمي (٤/ ٥٣٦).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣١٧).

(٣) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٤).

(الأولى): رسائل التزكية والأعمال:

* الشرك بالله أكبر الكبائر، وأعظم الموبقات، فاستعذ بالله منه ـ أيها المسلم ـ وحاربه بأنواعه كافة: رسالة هاتفية، أو مطوية دعوية، أو كلمة وعظية، أو نفقةٍ بنشر كتابٍ أو مساعدة في إقامة محاضرة علمية.

* من أولى الأولويات على الداعية إلى الله، تصحيح عقيدة التوحيد.

* عوّد نفسك هذا الدعاء العظيم: عن معقل بن يسار ﷺ قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق ﷺ إلى النبي ﷺ، فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟» قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»[1].

❁ ❁ ❁

بـ ـ الوصية الثانية: بر الوالدين:

قال ﷻ: ﴿وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا﴾، وتتضمن الأمور الآتية:

إنّما ثنى بهذا التكليف؛ لأنّ توحيد الله ﷻ أعظم النعم، ويتلوها نعمة

---

(١) الأدب المفرد (٧١٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٨٦)، وصححه الشيخ الألباني.

الوالدين؛ لأنّهما سبب وجود الإنسان، ونعم الوالدين على الولد كثيرة كنعمة التربية، والشفقة، والحفظ عن الضياع والهلاك في وقت الصغر[١]، لذلك كثيرًا ما يقرن الله ﷻ بين طاعته وبين برّ الوالدين؛ لأنه ﷻ مصدر الخلق والرزق، والأبوان واسطة[٢].

قرن ﷻ هذه الوصية بالوصية الأولى وهي توحيده وعدم الإشراك به في هذه الآية وفي غيرها؛ للتنبيه إلى معنى واحد جامع، وهو: أن المنعم يجب أن يشكر، فشكر الوالدين بالإحسان إليهما، وشكر الخالق إفراده بالعبادة والطاعة[٣].

من إعجاز القرآن الكريم أن يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين عقب النهي عن الشرك بالله ﷻ، ليملأ هذا الفراغ الذي وجد بإجلاء الشرك عن قلوب المشركين؛ فالأمر بالإحسان إلى الوالدين هنا هو في المكان الذي كان من المنتظر أن يحل فيه الإيمان بالله محلَّ الشرك، بعد أن أخلى مكانه، وزال شخصه[٤]، وفى هذا تعظيم لحق

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٣/ ١٧٨).

(٢) المنير للزحيلي (٨/ ٩٥).

(٣) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٥).

(٤) (١) ملاحظة: إن إخلاء القلب من الشرك يستلزم حلول الإيمان بالله تعالى حلولًا فوريًا سريعًا وهذا من لوازم فهم الآية وتأمل هذا المعنى المراد في آية سورة النساء

الوالديـن، وجعـل برّهما والإحسـان إليهما، درجة من درجـات الإيمان بالله[١].

والإحسان يتعدى بـ «الباء» و«إلى» فيقال: أحسن به، وأحسن إليه، والأولى أبلغ، فهو بالوالدين وذي القربى أليق؛ لأنّ من أحسنت به هو من يتصل به برُّك وحسن معاملتك، ويلتصق به مباشرةً على مقربةٍ منك وعدم انفصالٍ عنك، وأما من أحسنت إليه فهو الذي تسدي إليه برّك، ولو على بعدٍ أو بالواسطة؛ إذ هو شيءٌ يساق إليه سوقًا[٢].

جاءت هذه الوصية بأسلوب الأمر بالواجب المطلوب؛ وهو الإحسان إلى الوالدين، ولم تُذكر بأسلوب النهي عن المحرم وهو الإساءة، سُمُوًّا بالإنسان عن أن تُظَنَّ به الإساءة إلى الوالدين، وكأنّ الإساءة إليهما ليس من شأنها أن تقع من الابن، حتى يحتاج إلى النهي عنها، ولأنّ الخير المنتظر من هذه الوصية، وهو تربية الأبناء على الاعتراف بالنعم وشكر

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا﴾ ٣٦، وهو هنا وإن لم يذكر صراحة لكنه مراد حكمًا، وفي الآية ما يسمى في علم اللغة (إيجاز بالحذف) أي طالما أن السياق يشرحه ويوجبه فلا داعي لذكره، وهذا من بديع نظم القرآن الذي قد لا يعرض كلامًا غيره يدلّ عليه.

(١) التفسير القرآني للقرآن بتصرف يسير (٤/ ٣٤٤).

(٢) المنار لرشيد رضا (٨/ ١٦٣).

المنعمين عليها، إنما يتحقق بفعل الواجب؛ وهو الإحسان، لا بمجرد ترك المحرّم؛ وهو الإساءة[١].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ تقديم الجار والمجرور في ذكر الوالدين وتأخير الإحسان لإظهار الاختصاص والقصر، وإطلاق لفظ الإحسان منكّرًا ومنوّنًا ليكون عامًّا شاملاً؛ إحسانًا في القول والفعل، وقسمات الوجه، ونظرات العين، ولمسات اليدين، وكلّ حركة وسكنة، وفي كل وقتٍ وآنٍ، وفي كل ظرفٍ وحالٍ، وفي كل حل وترحال؛ لأنّه إحسانٌ مطلقٌ يكون في كل أحوالهما[٢].

فإن قيل: صدرت الوصايا بقوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، وفي هذه الوصية أمر بالإحسان إليهما، فأين ذكر المحرم؟ قيل: في الأمر بالإحسان إليهما تحريم ترك الإحسان؛ فكأنه قال: حرّم عليكم ترك الإحسان إلى الوالدين، وفرض عليكم برّهما[٣].

المأمور بالإحسان هم الأبناء، بينما لا نجد آية واحدة تأمر الآباء بالإحسان إلى أبنائهم، ولعل السرّ في ذلك هو: لفت الأنظار إلى أن

---

(١) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٦)، والمنار لرشيد رضا (٨/ ١٦٣).

(٢) الوصايا الربانية: عمر بادحدح، دروس صوتية تفريغ موقع الشبكة الإسلامية.

(٣) تفسير الماتريدي (٤/ ٣١١).

إحسان الآباء إلى الأبناء أمر واقع منهم بمقتضى الفطرة، فلا حاجة للحث عليه، وهذا أسمى وأصدق ألوان التربية السليمة التي يؤيدها الواقع[١].

وإنما عـدل عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناء بالوالدين، لأن الله أراد برّهما، والبرُّ إحسان، والأمر به يتضمن النهي عن الإساءة إليهما بطريق فحوى الخطاب، وللدلالة على أن ترك الإِساءة في شأنهما غير كافٍ بخلاف غيرهما[٢].

(الثانية): رسائل التزكية والأعمال:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ اجعلها دستور حياة لا تخطو خطوة، ولا تفكر بأمر إلا وأشركهم المشورة، واطلب منهم الدعاء.

مهما فعلت من برّ وإحسان فهو لا شيء بجانب حق الوالدين عليك وأنت صغير.

روى البخاري في «الأدب المفرد»، عن سعيد بن أبي بردة، قال: سمعت أبي يحدّث أنه شهد ابنُ عمر رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت حمل

---

(١) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٥٨)، وتفسير الماتريدي (٤/ ٣١١)، وتفسير البيضاوي (٢/ ١٨٨).

أمه وراء ظهره يقول: إنِّي لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر، ثمَّ قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها، قال: لا ولا بزفرة واحدة، ثمَّ طاف ابن عمر ﷺ فأتى المقام فصلى ركعتين، ثمَّ قال: «يا ابن أبي موسى إنّ كلّ ركعتين تكفران ما أمامهما»[١].

برّك لوالديك أعظم فرحة تقدمها لهما، فإيّاك والأعيادَ البدعية، والزم وصية الله ﷻ ووصية نبيه ﷺ.

إذا تثاقلتَ من كثرة الأوامر، وصعبتْ عليك الحياة لأنك بليت بأب مريض أو أمّ، فتذكر هذه الآية الربانية، فهي من خير الوصايا وأعظمها، وحسبك بمقامها بعد توحيد الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

جـ ـ الوصية الثالثة: تحريم وأد البنات:

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

لما أوصى بمن كان السبب في الوجود أي (الآباء والأجداد)، نهى عن التسبب بالإعدام أي (القتل) وبدأ بأشدّه وهم الأبناء، فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[٢].

---

(١) الأدب المفرد، باب جزاء الوالدين (١١).

(٢) انظر نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣١٧)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٦١)، والتفسير المنير للزحيلي (٨/ ٩٦).

قتل الإنسان لابنه وهو بضعة منه اعتلالٌ في الطبع، وخللٌ في العقل، وفسادٌ في الفطرة، والشأن حتى في الحيوان أن يضحي من أجل صغاره ويحميهم ويتحمل الصعاب في سبيل بقائهم، وقد أخبرنا رسولنا الكريم ﷺ أنّ أعظم الذنب: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ»(١).

إذا كانوا منهيين عن قتلهم حال الفقر والفاقة ـ وهم أولادهم ـ فنهيهم عن قتلهم لغير موجب، أو قتل أولاد غيرهم، من بابٍ أولى(٢).

نهى عن قتل الولد ثلاث مرات، بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، وبقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾؛ إذ قتله من أعظم الفواحش، وبقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾، فهو داخل أيضًا في عموم الأنفس(٣).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، تفيد الأمر بالصبر وعدم ارتكاب المعاصي بسبب الفقر.

أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية منعَ العزل؛ لأن الوأد يرفع الموجود والنسل، والعزل منع أصل النسل فتشابها، إلا أن قتل النفس

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب قتل الولد جـ ٨ ص ٨.

(٢) تفسير السعدي (٢٧٩).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣١٨).

أعظم وزرًا وأقبح فعلاً، فالعزل إذن وأد خفيّ، غير أن حديث جابر ﷺ: «كنا نعزل والوحي ينزل» يدل على جوازه بشرط إذن الحرة لا الأمة[١]، والتوسع في ذلك والوقوف عليه موضعه كتب الفقه.

كان للوأد عند العرب في الجاهلية سببان رئيسان: الأول: اقتصادي يتمثل في الخوف من الفقر حاضرًا أو مستقبلاً، والثاني: حميّة وغيرة، والذي يهمنا في هذا المقام تنبيه المسلمين، إلى خطورة الدعوة إلى تحديد النسل، وقد جاء في الحديث: «فإني مباه بكم الأمم»[٢].

يقول سبحانه: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي: لا تقتلوا أولادكم بسبب فقركم، فالله ﷻ تكفل بكم جميعا: ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾، فجعل الرزق للآباء ابتداء، لأن الفقر الذي يقتلون من أجله أولادهم حاصل لهم فعلاً، وفي سورة الإسراء يقول: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] أي: خوفًا من فقرٍ متوقع بسبب الأولاد، ولذا قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]، فقدّم رزق الأولاد لأنهم سبب توقع الفقر، ليكف الآباء عن هذا التوقع، وليضمن للأولاد رزقهم ابتداءً مستقلاً عن رزق الآباء.

ففي كلتا الحالتين القرآن ينهى عن قتل الأولاد، ويغرس في

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٥٤٥).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٨/ ٤٤٠).

نفوس الآباء الثقة بالله، وحسن التوكل عليه[١].

قدّم رزق الآباء للإشارة والبشارة إلى أنه كما رزق الآباء، فلم يموتوا جوعًا، كذلك سيرزق الأبناء، فضلاً عن أن الفقر إنما اعترى الآباء، فلِمَ يُقتَلُ لأجله الأبناء؟[٢].

عدل عن طريق الغيبة الذي جرى عليه الكلام من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ إلى طريق التكلم بضمير: ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾ تذكيرًا بالذي أمر بهذا القول كله، حتى كأن الله أقحم كلامه في أثناء كلام رسوله الذي أمره به، فكلّم الناس بنفسه تطمينا لهم، وتأكيدًا لتصديق رسولهم ﷺ[٣].

أوصى الأبناء بالآباء، وأوصى الآباء بالأبناء، وربط الوصية بالتوحيد، وقال لهم: إنه كفل لهم الرزق، فلا يضيقوا بالتبعات تجاه الوالدين في كبرهما، ولا تجاه الأولاد في صغرهم وضعفهم، فالله بفضله يرزقهم جميعًا[٤].

المجتمع الذي يبيح قتل الأولاد خوفًا الفقر أو العار، لا يمكن أن

---

(١) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٧).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٥٩).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٥٩).

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٣٠).

يصلح شأنه، لأنه مجتمع نفعيّ تسوده الأثرة والأنانية، وتتغشى أفراده الأوهام؛ إذ يظنون بالله أنه خلق خلقًا لم يكفل رزقهم، فيعتدون على روح بريئة طاهرة تخوفًا من جريمة متوهمة، وذلك هو الضلال المبين[١].

(الثالثة): رسائل التزكية والأعمال:

* أيها المسلم الكريم: إذا ما رزقك الله البنات دون البنين، فعليك بالصبر والشكر فلله حكمة بالغة، فلا يدري الإنسان في أيهما الخير، والواقع يدل على أن البنت أكثر برًّا بأهلها من الولد، قال يعقوب بن بختان: (وُلِد لي سبع بنات، فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت على أحمد ابن حنبل فيقول لي: «يا أبا يوسف، الأنبياء آباء بنات»، فكان يذهب قوله همي!)[٢].

* اعلم أنَّ دعوة ترك الزواج، وعدم إنجاب الأولاد من أجل أمور المعيشة والحياة، هي دعوة جاهلية حرمها الشرع.

* بشارة عظيمة للآباء بأن الأولاد من أعظم أسباب نيل الرزق، فعجبًا لمن ذهب إلى تحديد النسل معارضًا حكم الله وحكمته في عباده.

❁ ❁ ❁

---

(١) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٦).

(٢) تحفة المودود لابن القيم (١/ ٢٦).

د ـ الوصية الرابعة: تحريم اقتراف الفواحش:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، تتضمن النقاط الآتية:

قال رسول الله ﷺ: «لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»[(١)].

لمّا وصّاهم الله ﷻ بالأسرة وصّاهم بالقاعدة التي تقوم عليها، وهي العفة والطهارة؛ إذ لا قيام لأسرةٍ، ولا استقامة لمجتمعٍ، في وحل الفواحش الظاهرة والباطنة[(٢)].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ لما كانت الفواحش ذات إغراءٍ وجاذبيةٍ، وقد يميل لها الطبع، جاء النهي عن قربانها، فضلاً عن مواقعتها سدًا للذرائع، واتقاءً للجاذبية التي قد تضعف معها الإرادة[(٣)].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾، هذا الدين لا يريد أن يعرض الناس للفتنة، ثم يكلفهم بمقاومتها، فهو دين وقاية قبل أن يقيم الحدود، كما أنه دين

---

(١) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب ولا تقربوا الفواحش جـ ٦ ص٥٧.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٣٠ ـ ١٢٣١).

(٣) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

حماية المشاعر والجوارح، وربك أعلم بخلقه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [تبارك: ١٤][(١)].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ أي: لا تواقعوها، أو لا تدنوا منها، ولكن اجعلوا بينكم وبينها حجابًا من الحلال، فالنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، لأنه يتناول النهي عن مقدماتها كافة ووسائلها الموصلة إليها[(٢)].

﴿الْفَوَاحِشَ﴾، المراد هنا بالفواحش فاحشة الزنى، بحسب طبيعة السياق وصيغة الجمع؛ لأنّ هذه الجريمة ذات مقدماتٍ وملابساتٍ كلها فاحشةٌ مثلها، فالتبرج والتهتك والاختلاط والكلمات والإشارات والحركات المثيرة والإغراء والتزين والاستثارة والتعطر في الطريق، كلها فواحش، تسبق الفاحشة الكبرى وتحيط بها: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٣٢]، يضاف إلى ما سبق أنّ المجال هنا مجال تعديد محرّماتٍ بعينها، فيكون المقصود فاحشة الزنى دون غيرها[(٣)].

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٣١).

(٢) انظر الماتريدي (٤/ ٣١٢)، وتفسير السعدي (٢٧٩).

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٣١)، وانظر: الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام، د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

﴿الْفَوَاحِشَ﴾ للفخر الرازي اعتراضٌ على تخصيص الفواحش بالزنى فقال: الأولى ألا يخصص هذا النهي بنوعٍ معينٍ، بل يجري على عمومه في جميع الفواحش ظاهرها وباطنها؛ لأن اللفظ عامٌّ، والمعنى الموجب لهذا النهي وهو كونه فاحشةً عامٌّ أيضًا، ومع عموم اللفظ والمعنى يكون التخصيص على خلاف الدليل(١).

مما يدل على بشاعة جُرم الزنى أنّ القرآن تحدّث عن هذا الفساد الخلقي وكأنّه نوعٌ من القتل المعجل، إذ ورد الحديث عن الزنى بين نوعين من أنواع القتل، وهنا ورد ذكر الفواحش بعد النهي عن قتل الأولاد، وقبل النهي عن قتل النفس البريئة(٢). أو مقترنًا بالنهي عن الشرك والقتل.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾ كان العرب في الجاهلية لا يرون بأسًا في الزنى سرًا، ويعدون الزنى علانيةً قبيحًا، فحرّم الله النوعين(٣).

---

(١) تفسير الرازي (١٣/ ١٧٨).

(٢) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

(٣) المنير للزحيلي (٨/ ٩٦).

قال السدي وابن عباس: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ هو زنى الحوانيت الشهير، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ هو متخذات الأخدان[١].

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: ما يراه غيره ويبصره من أفعال الجوارح، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: ما يكون بالعين والقلب، ومنه اعتقاد القلوب وأعمالها كالكبر والحسد؛ لأنه لا يعلمه غير الناظر[٢].

الإنسان إذا احترز عن المعصية في الظاهر فقط، فلأجل خوف المذمّة من النّاس، ومن ترك المعصية ظاهرًا وباطنًا فإنما تركها تعظيمًا لأمر الله ﷻ، وامتثالاً[٣].

المجتمع الذي يؤمن بأن هناك «فواحش» يجب أن تجتنب، و«محاسن» يجب أن تلتمس هو المجتمع الفاضل الطهور، أما المجتمع الذي يسوي بين القبيح والحسن، ويقوم على إباحية لا تفرق بين ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك، فلا بدّ أن يكون مصيره الذل والزوال[٤].

---

(١) تفسير ابن عطية (٢/ ٣٦٢).

(٢) تفسير الماتريدي (٤/ ٣١٤)، وتفسير المنار لرشيد رضا (٨/ ١٨)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٨٦)

(٣) تفسير الرازي (١٣/ ١٧٨).

(٤) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٧).

قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غيرَ مصفح، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغير من سعد، والله أغير مني؛ من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[١].

(الرابعة): رسائل التزكية والأعمال:

* أيها الشاب المسلم احذر الفواحش فإنها وصية الله إليك.

* إذا فكرت بالفاحشة تذكر بشاعتها ونتائجها، وحسبك بأن الله قد نعتها بالفاحشة، فكيف يفعلها عاقل.

* إيَّاك وروغان الثعالب؛ تتقي الله في العلن، وتخونه في السرّ، وقد قيل: راود رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبت، فَقَالَ لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مُكَوْكبُها؟، وأكرهَ رجلٌ امرأة عَلَى نفسها، وأمرها بغلق الأبواب ففعلت، فَقَالَ لها: هل بقي باب لم تغلقيه؟ قالت: نعم، الباب الَّذِي بيننا وبين الله! فلم يتعرض لها[٢].

* احذر خطوات الشيطان في ارتكاب الفاحشة فأولها الكلام، وأخرها حسرة وندامة وعذاب.

---

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح، باب الغيرة ج ٧ ص ٣٥.

(٢) مجموع رسائل ابن رجب، رسالة تحقيق كلمة الإخلاص (٣/ ٧١).

* اعلم أيها الشاب أن قوتك الحقيقية في تقوى الله ﷻ، وامتثال أمره، واجتناب نهيه.

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته ... يـوم النزال ونارُ الحرب تشتعلُ
لكن فتى غض طرفًا أو ثنى بـصـرًا ... عن الحرام فذاك الفارس البطل[1]

❀ ❀ ❀

هـ ـ الوصية الخامسة: منع قتل النفس بغير الحق:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وتتضمن الآتي:

القتل داخل في جملة الفواحش، إلا أنه ﷻ أفرده بالذكر لفائدتين: إحداهما: تعظيما لشأنه، كقوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، والثانية: أراد ﷻ أن يستثني منه، ولا يتأتى هذا الاستثناء في جملة الفواحش[2].

يكثر في السياق القرآني مجيء النهي عن هذه المنكرات الثلاثة متتابعة: الشرك، والزنى، وقتل النفس؛ ذلك أنها كلها جرائم قتل في

---

(١) ذكره ابن الجوزي في كتابه ذم الهوى (١٤٣)، في ذكر ثواب من غض بصره عن الحرام.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٣/ ١٧٩)، وانظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (٤/ ٦٨٨).

الحقيقة؛ فالأولى قتل للفطرة، والثانية قتل للجماعة، والثالثة قتل للنفس المفردة، لأجل ذلك جعل الإسلام عقوبتها أقسى العقوبات؛ حماية للمجتمع من عوامل الانحلال والسقوط[١]، ﴿النَّفْسَ﴾ «ال» التعريف للجنس فتفيد الاستغراق[٢]، وهي: النفس المسلمة، من ذكرٍ وأنثى، صغيرٍ وكبيرٍ، برٍّ وفاجرٍ، وكذلك النفس الكافرة المعصومة بالعهد والميثاق[٣].

وصفت النفس بـ ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ تأكيدًا للتحريم بأنه تحريمٌ قديمٌ من عهد آدم[٤].

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الكامل، ولا يكون كاملاً إلا وهو كالشمس وضوحًا لا شبهة فيه، [٥]ولا تقدير أو تأويل، وقد بيّنت الشريعة هذا الحقّ؛ وهو الكفر بالله، وقتل النفس، والزنى بعد الإحصان، والحرابة، وما تشعب من هذه[٦].

الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه بِنَاء الله، فلا يحق لأحد أن يهدم

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٣١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٠).

(٣) تفسير السعدي (٢٨٠)، وانظر: تفسير المنار لرشيد رضا (٨/ ١٦٦).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦١).

(٥) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣١٨).

(٦) تفسير ابن عطية (٢/ ٣٦٢).

هذا البنيان إلا بالحق، وبذلك يتقرر عصمة الدم الإنساني: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢][١].

﴿ذَلِكُمْ﴾ الإشارة إلى الوصايا الخمس التي تليت في هذه الآية، واللام فيها للدلالة على بعد ما تدل عليه الوصايا المشار إليها من الحكم والأحكام والمصالح الدنيوية والأخروية، أو بعدها عن متناول أوضاع الجهل والجاهلية، ولا سيّما مع الأمّيّة[٢].

ختمت الآية بقوله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لتفيد أن مجرد الاعتصام بعصمة العقل في الجملة والخروج عن خالصة الأهواء يُكشف للإنسان عن حرمة القتل بغير حق وقبحه.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تذييل جعل نهاية للآية، فأومأ إلى تنهية نوع من المحرمات، وهو المحرمات الراجع تحريمها إلى إصلاح الحالة الاجتماعية للأمة، بإصلاح الاعتقاد، وحفظ نظام العائلة والانكفاف عن المفاسد، وحفظ النوع بترك التقاتل[٣].

---

(١) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٨).

(٢) المنار لرشيد رضا (٨/ ١٦٦).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٢).

لما بيَّن أحوال هذه المحرمات السابقة، أتبعه باللفظ الذي يقرب إلى القلب القبول، فقال: ﴿وَصَّاكُمْ﴾[١]؛ إذ فيها لطف ورأفة، حيث جعلهم أوصياء له ﷻ، وهذا لا يقوله إلا المحبّ الشفوق[٢].

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لما كانت هذه الأشياء لعظيم خطرها وجلالة وقعها في النفوس لا تحتاج إلى مزيد فكر، ولأن العقل مناط التكليف أتبعه بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي، لتكونوا على رجاءٍ من المشي على منهج العقلاء، فتعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا، وتعقلوا عظمها عند الله ﷻ، فتكفّوا عن مباشرتها[٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ عن الله وصيته، ثم تحفظونها، ثم تراعونها وتقومون بها، وتستعملون عقولكم التي تحبس نفوسكم عن مباشرة القبائح[٤]، ودلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٣/ ١٧٩).

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي بتصرف (٤/ ٦٨٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٣/ ١٧٩)، وتفسير القاسمي (٤/ ٥٣٦)، ونظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣١٨).

(٤) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٨).

(٥) انظر: تفسير السعدي (٢٧٩).

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الشرك وعقوق الوالدين وقتل الأولاد للفقر، منشؤه الجهل بما في الشرك من استهانة المنعم بالإيجاد، وبما في الإساءة إلى الأبوين من مقابلة الإحسان بالإساءة، وقربان الفواحش من متابعة الهوى، والقتل من متابعة الغضب، وكلها أضداد العقل[١].

لذلك ختمت الآية بعبارةٍ تفيد أنّ هذا مرجعه إلى حكم العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢].

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تذييل الآية بهذه الخاتمة يدلّ على أن ما هم عليه من الشرك، وتحريم بعض الأنعام مما لا تعقل له فائدة[٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ: «لَعَلَّ مِنَ اللهِ وَاجِبَة»[٤].

ومعنى واجبة: أي واقعة حتمًا لأنّ الرجاء في حقِّ الله ﷻ غير واردٍ؛ لأنه يكون ممّن لا يملك الشيء فيرجوه مِن غيره، وهو على الله محال[٥].

هذه هي الوصايا الخمس التي تضمنتها الآية الأولى من هذه الآيات

---

(١) تفسير القاسمي (٤/ ٥٣٦).

(٢) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٩).

(٣) انظر التفسير المنير (٨/ ٩٨).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٣).

(٥) انظر تفسير الماتريدي (٤/ ٣١٥).

الثلاث، وكلها تشترك في معنى واحد هو: أنها حقائق أو حقوق ثابتة في نفسها، ولم يكن ثبوتها إلا تجاوبًا مع الفطرة الإنسانية، فالله ﷻ واحد سواء آمن الناس بهذه الحقيقة عقيديًا وعمليًا أم لم يؤمنوا، وشكر النعمة يقتضي الإحسان إلى الوالدين طبعًا ووضعًا، وللنسل حقّ الحياة والحفظ، والفواحش فحشٌ ونكرٌ في ذاتها، فيجب أن تجتنب، والنفوس معصومة فليس لأحد أن يهدمها إلا بحقّ، ولاتفاقها كلها في هذا المعنى جاءت في آية واحدة، وختمت بعبارة تفيد أن هذا مرجعه إلى حكم العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

(الخامسة): رسائل التزكية والأعمال:

* احذر سفك الدماء بغير وجه حقّ، فإن ذلك من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب، ومن الموبقات المهلكات عند الله ﷻ.

* إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس وقتلهم تذكر قدرة الله عليك.

* قتل النفس بغير مسوغ شرعيّ تعدٍّ على حدود الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله

(١) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢١٩).

إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»[١].

* إذا اشتعلت نار الفتنة، وكثر الدعاة إليها، فاجعل من هذه الآية نبراسًا لك في حياتك، وتذكر وصية رسول الله ﷺ «لَا تَكُنْ عَبْدَ اللهِ الْقَاتِلَ»[٢].

* نهى الشرع عن حمل السلاح خوفًا من القتل، فكيف بالقتل بلا مسوغ شرعي. فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا»[٣]، وعن ابن سيرين قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[٤].

---

(١) رواه مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم (٣/ ١٣٠٢).

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند خباب بن الأرت، رقم (٢١٠٦٤)، ٣٤/ ٥٤٣.

(٣) رواه البخاري ١٣/ ٢٠ في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، ومسلم رقم (١٠٠) في الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، والترمذي رقم (١٤٥٩) في الحدود، باب ما جاء فيمن شهر السلاح.

(٤) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٤/ ٢٠٢٠).

المطلب الثاني: وصايا اجتماعية

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢].

أولاً ـ التفسير الميسر للآية

لا تقربوا مال اليتيم إذا وليتم أمره، أو تعاملتم به ولو بواسطة وليه أو وصيه إلا بالفعلة التي هي أحسن في حفظ ماله وتثميره، ورجحان مصلحته، والإنفاق منه على تربيته وتعليمه ما به يصلح معاشه ومعاده، ولا تسمحوا له بتبذير شيء من ماله وإضاعته أو الإسراف فيه حتى يبلغ، فإذا بلغ سن القوة بدنا وعقلا فسلموه له، والقوة التي يحفظ بها المرء ماله في هذا العصر هي اتزان الفكر، والرشد العقلي والأخلاقي بكثرة المران والتجارب في المعاملات.

وأوفوا الميزان إذا وزنتم لأنفسكم فيما تبتاعون أو لغيركم فيما

تبيعون بحيث يرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه، ولا بد من تحري العدل في ضبط الكيل والميزان له وعليه حال البيع والشراء بقدر المستطاع.

وعليكم أن تعدلوا في القول إذا قلتم قولا في شهادة أو حكم على أحد، ولو كان المقول له أو عليه ذا قرابة منكم، إذ بالعدل تصلح شؤون الأمم والأفراد، فهو ركن ركين في العمران، وأساس في الأمور الاجتماعية، فلا يحل لمؤمن أن يحابي فيه أحدًا لقرابة ولا غيرها، فالعدل كما يكون في الأفعال كالوزن والكيل يكون في الأقوال، وينبغي الوفاء بعهد الله، ويشمل ذلك ما أنزل إليهم من دين وما آتاهم من العقل والوجدان والفطر السليمة.

إن ذلك الذي تلوته عليكم من الأوامر والنواهي وصاكم الله به رجاء أن يذكره بعضكم لبعض في التعليم والتواصي؛ لما فيه من مصالح ومنافع كتدارك النسيان والغفلة من كثرة الشواغل الدنيوية، أو رجاء أن يتعظ به من سمعه أو قرأه[1].

(١) انظر تفسير المراغي (٨/ ٧٢).

ثانيًا ـ الفوائد والهدايات التدبرية

أ ـ الوصية السادسة: المحافظة على مال اليتيم:

﴿وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، تتضمن الأمور الآتية:

لما كان المال عديل الروح من حيث إنّه لا قوام لها إلا به، ابتدأ الآية التي تلي آية تحريم قتل النفس بتحريم الاعتداء على الأموال، ولما كان أعظمَها خطرًا وحرمة مالُ اليتيم، لضعفه وقلة ناصره ابتدأ به[١].

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ إذا بلغ تنتفي عنه صفة اليتم، جاء في الحديث «لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ»[٢].

ذكر ﷻ في الآية السابقة خمسة أنواع من التكاليف، وهي أمور ظاهرة جلية لا حاجة فيها إلى الفكر والاجتهاد، ثم أعقبها بذكر أربعة أنواع من التكاليف، وهي أمور خفية يحتاج المرء العاقل في معرفته بمقدارها إلى التفكر والتأمل والاجتهاد[٣].

ابتدأ بحفظ حق الضعيف الذي لا يستطيع الدفع عن حقه في ماله،

---

(١) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣١٨).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتم، رقم (٢٨٧٥)، ٣/ ٧٤.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (١٣/ ١٧٩).

وهو اليتيم[١]، وخصّ مال اليتيم بالذكر، وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته؛ لأنّ الطمع فيه لقلة من يرعاه أقوى، فكان بالذكر أولى[٢].

قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ ولم يقل كما في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، لِيُحَذِّر من أخذ أيّ شيءٍ من مال اليتيم ولو كان شيئا يسيرا، لعدم وجود من يقوم عليه ويدافع عنه[٣].

غالبًا ما يتعلق النهي في القرآن بالقربان من الشيء، وضابطه بالاستقراء: أن كل منهيٍّ عنه تميل إليه النفوس؛ فالنهي فيه عن «القربان»، ويكون القصد التحذير من أن يأخذ ذلك الميل في النفس مكانة تصل بها إلى اقتراف المُحرَّم، وكان من ذلك في الوصايا السابقة النهي عن الفواحش، ومن هذا الباب: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة:٣٥]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ [الإسراء:٣٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

أما المحرمات التي لم يُؤْلَف ميل النفوس إليها ولا اقتضاء الشهوات لها، فإنّ الغالب فيها أن يتعلق النهي عنها بالفعل نفسه لا بالقربان منه، ومن ذلك في الوصايا السابقة: الشرك بالله، وقتل الأولاد، وقتل النفس

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٣).

(٢) تفسير الماوردي (٢/ ١٨٧)، وانظر: تفسير ابن الجوزي (٢/ ٩٢).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٣).

التي حرم الله قتلها، فإنّها وإن كان الفعل المنهي عنه فيها أشد قبحًا وأعظم جرمًا عند الله من أكل مال اليتيم وفعل الفواحش، إلا أنها ليست ذات دوافع نفسية يميل إليها الإنسان بشهوته، وإنما هي في نظر العقل على المقابل من ذلك، يجد الإنسان في نفسه مرارةً من ارتكابها، ولا يُقدم عليها إلا وهو كارهٌ لها أو في حكم الكاره[١].

تحدّث الحق ﷻ في كتابه العزيز عن اليتيم في ثلاثةٍ وعشرين موضعًا، كلها تدعو إلى رعايتهم، والحفاظ على أموالهم، والسهر على مصالحهم؛ بل وتشدد النكير على من تسوّل له نفسه أن يعتدي على أموالهم، أو يأكل شيئًا من حقوقهم[٢].

خُصّ اليتيم بحفظ المال؛ لأن ذلك الحق مظنة الاعتداء عليه من الولي، وهو مظنة انعدام المدافع عنه، فما من ضعيف إلا وله من الأقارب والموالي من يدفع عنه إذا استجاره أو استنجده، أما اليتيم فإن الاعتداء عليه إنما يكون من أقرب الناس إليه، فلذلك لم يوصِ الله ﷻ بمال غير اليتيم، لأن صاحبه يدفع عن نفسه، أو يستدفع بأوليائه، ومنجديه.

---

(١) تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت (٣٣٥).

(٢) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يجوز الأخذ من مال اليتيم بالتي هي أحسن، أي بما فيه صلاحه وتنميته، وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه، بالاتجار فيه ونحوه[١].

ويستمر وليّ اليتيم أو وصيّه بالسعي فيما فيه مصلحة لماله من تنميته وتثميره ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[٢].

ذهب أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ إلى أنّه يجوز لكافل اليتيم إذا كان وصيًّا أن يقرب ماله بيعًا إذا كان ذلك خيرًا لليتيم؛ إذا وقع له الفضل، وطلب له الزيادة والنماء[٣].

﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ دقة التعبير القرآني لأن الوصي قد يقترب من مال اليتيم ويباشره لينميه كي لا تأكله الصدقة وما يعرف بعصرنا بالتضخم الورقي، ومن هنا له مباشرة المال طالما لخير اليتيم وبالتي هي أحسن.

﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في ظل قاعدة التكافل الوارفة الظلال، عني الإسلام باليتيم وأمواله؛ فدعانا إلى حسن استثمار ماله للإنفاق

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٣٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٤).

(٣) تفسير الماتريدي (٤/ ٣١٦).

من عائدها عليه، قال ﷻ: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾ [النساء:٥]، وقال ﷺ: «أَلَا مَنْ وَلِيَ يَتِيمًا لَهُ مَالٌ فَلْيَتَّجِرْ فِيهِ، وَلَا يَتْرُكْهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ»(١).

﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم، وجاء بأفعل التفضيل مراعاة لمال اليتيم، إذ لا يكفي فيه الحالة الحسنة.

وقد يتوهم غير العارف من مفهوم المخالفة لهذه الآية الكريمة: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أنه إذا بلغ أشده، فلا مانع من قربان ماله بغير التي هي أحسن، وليس ذلك مرادًا بالآية، بل الغاية ببلوغ الأشد يراد بها: أنه إن بلغ أشده يدفع إليه ماله، إن آنس منه الرشد، كما بينه ﷻ بقوله: ﴿فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ [النساء:٦](٢).

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هي في معنى قوله ﷻ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء:٦]، فجمع سبحانه في هذه الآية بين قوة البدن؛ وهو بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة؛ وهو إيناس الرشد، فلو مُكّن اليتيمُ من ماله قبل حصول المعرفة،

---

(١) سنن الترمذي (٦/ ٢٤)، وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٢٥).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٥٤٥).

وبعد حصول القوة لأذهبه في شهوته وبقي صعلوكًا لا مال له[١]. وفي هذا دلالةٌ على أنّ اليتيم قبل بلوغ الأشُد محجورٌ عليه[٢].

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ في الآية إيجاب حفظ ماله حتى منه هو؛ فإنّ الوليّ أو الوصيّ لا يجوز له أن يسمح لليتيم بتبديد شيءٍ من ماله وإضاعته أو الإسراف فيه[٣].

دلت التجارب على أن حديث العهد بالاحتلام يكون ضعيف الرأي قليل الخبرة بشؤون المعاش يخدع كثيرًا في المعاملات، وقد كان الناس في الجاهلية لا يحترمون إلا القوة، ولا يعرفون الحق إلا للأقوياء[٤].

(السادسة): رسائل التزكية والأعمال:

* تذكر أنَّ كفالة اليتيم أجرها عظيم، وفي التعدي على ماله إثم كبير.

* استثمار مالِ اليتيم باب واسع من أبواب الخير كيلا تأكله الزكاة، فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: «ابتغوا في أموال اليتامى لا

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٣٥).

(٢) تفسير السعدي (٢٨٠).

(٣) المنار لرشيد رضا (٨/ ١٦٧).

(٤) انظر تفسير المراغي (٨/ ٧٢).

تأكلها الزكاة، وفي بعض الروايات: في أموال اليتامى لا تستهلكها أو لا تذهبها الزكاة»[١].

* اعلم أن تربية اليتيم تكون بحفظه، وحفظ كل ما يتعلق به وما يمتلكه والتصرف في ماله بما فيه مصلحته، ومن حفظ ماله أن تمنعه من التصرف فيه إن بذّر وأسرف.

* قبل أن تكفل اليتيم اجعل من هذه الآية دستورًا لك في التعامل مع اليتيم وماله.

* من الورع الذي ندب إليه الشرع أن يجعل القائم على مال اليتم سجلاً خاصًا يضع فيه عائدات اليتيم.

* أشهد من تثق بدينه على مال اليتيم الذي عندك، فهو من أفضل الحواجز في منع الاقتراب من ماله بغير حق.

* عظم الجزاء مع عظم البلاء، والأجر على قدر المشقة، وحصولك على رفقة النبي ﷺ لكفالتك اليتيم يتطلب منك صبرًا ومصابرة وجهدًا وجهادًا.

❀ ❀ ❀

(١) السنن الصغير للبيهقي (٢/ ٦٢).

ب ـ الوصية السابعة: إيفاء الكيل والميزان بالقسط:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وتتضمن النقاط الآتية:

كانت جاهلية الأمس كما هي جاهلية اليوم تفصل بين العقيدة والمعاملات، ومن ذلك ما قصّه ربنا عن قوم شعيبٍ ﷺ ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود:٨٧]، ومن ثمّ ربط القرآن الكريم بين قواعد التعامل في البيع والشراء وغير ذلك، وبين العقيدة الإسلامية، فكلاهما من مقومات هذا الدين[١].

﴿وَأَوْفُوا﴾ جاء في لسان العرب أن كُلُّ شَيْءٍ بلَغ تمامَ الْكَمَالِ فَقَدْ وَفَى وتمَّ، وكلُّ مَا تمَّ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ فَقَدْ وفَى، وأَوْفَى الرجلَ حقَّه ووَفَّاه إِياه بِمَعْنَى: أَكْمَلَه لَهُ وأَعطاه وَافِيًا[٢].

لم يأتِ في هذه الوصية النهي عن التطفيف كما في قول شعيب: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود:٨٤]، إشارةً إلى أنّهم مأمورون بالحدّ الذي يتحقق فيه العدل وافيًا، وعدم النقص يساوي الوفاء، لكنْ في

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٣٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠)، وتفسير الرازي (١٣/ ١٨٠).

اختيار الأمر بالإيفاء اهتمامٌ به لتكون النفوس ملتفتةً إلى جانب الوفاء لا إلى جانب ترك التنقيص، وفيه تذكيرٌ لهم بالسخاء الذي يتمادحون به[١].

إن إيفاء الكيل والميزان بالقسط في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء فيه حفاظ على الحقوق المالية[٢]، وقد أهلك الله أمةً من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان[٣].

إن قيل: إيفاء الكيل والميزان هو عين القسط، فما الفائدة في هذا التكرار؟

الجواب: أمر الله المعطي بإيفاء ذي الحق حقه من غير نقصانٍ، وأمر صاحب الحقّ بأخذ حقّه من غير طلب الزيادة[٤].

عدل في هذا الاحتراس عن طريق الغيبة الذي بني عليه المقول ابتداء في قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ لما في هذا الاحتراس من الامتنان، فتولى الله خطاب الناس فيه بطريق التكلم مباشرةً زيادةً في المنّة، وتصديقًا للمُبَلِّغ، فأوصى البائع الذي بيده المكيال

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٥).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٤).

(٤) تفسير الرازي (١٣/ ١٨٠).

والميزان بالوفاء للمشتري الذي قد يكون في حالة غفلةٍ لحرصه في تحصيل المكيل أو الموزون، فيتحمل التطفيف[١].

وهذا الأمر يدل بفحوى الخطاب على وجوب حفظ المال فيما هو أشد من التطفيف، فإن التطفيف إن هو إلا مخالسة قدرٍ يسيرٍ من المبيع، وهو الذي لا يظهر حين التقدير، فأكل ما هو أكثر من ذلك من المال أولى بالحفظ، وتجنبّ الاعتداء عليه[٢].

﴿بِالْقِسْطِ﴾ هذه الكلمة هي التي بينت أنّ الإيفاء يجب أن يكون من الجانبين في الحالين، أي أوفوا مقسطين أو ملابسين للقسط متحرين له، وهو يقتضي طرفين يقسط بينهما، فدلّ على أنّه يجب على الإنسان أن يرضى لغيره ما يرضاه لنفسه[٣].

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جاءت عقب الأمر بإيفاء الكيل والوزن بالعدل، للدلالة على الترخيص فيما خرج عن الوسع والقدرة؛ لبيان قاعدة من قواعد الإسلام الرافعة للحرج؛ ذلك أنّ التبادل التجاري لا يمكن أن يتحقق على وجهٍ كاملٍ من المساواة والتبادل، بل الشأن

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٦).

(٣) المنار لرشيد رضا (٨/ ١٦٨).

فيه أن يقبل اليسير من الغبن في جانب البائع، أو في جانب المشتري، وهذه الوصية تجمع في ثناياها بين الدقة والسماحة، وبين الضبط ورفع الحرج[١].

علِم الله من عباده أنّ كثيرًا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له، فأمر المعطي بإيفاء ربّ الحقّ حقّه الذي هو له، ولم يكلّفه الزيادة، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها، وأمر الذي له الحقّ، بأخذ حقّه، ولم يكلّفه الرضا بأقلّ منه، لما في النقصان عنه من ضيق نفسه. فلم يكلّف نفسًا منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق، فلذلك قال: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢].

قاعدة اليسر وحصر التكليف بما في وسع المكلف وما يقابله من رفع الحرج ونفي العسر، من أعظم قواعد هذا الشرع المبنيّ على أساسٍ متين من الحق والعدل، فلا يساويه فيه قانون من قوانين الخلق[٣].

استدلّ الأصوليون بقوله ﷻ: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

---

(١) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢٢٥)، وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٣٦).

(٣) المنار لرشيد رضا (٨/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

بأنّ الله لا يكلّف أحدًا ما لا يطيق، وعلى أنّ من اتقى الله فيما أُمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه فيما سوى ذلك[١].

وقد يكون قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تذييلاً للجمل التي قبلها، تسجيلاً عليهم بأن جميع ما دعوا إليه هو في طاقتهم ومكنتهم[٢].

وهذا ما ذهب إليه ابن عطية في هذه الجملة لكل التشريعات السابقة، فقال: (هذه الأوامر إنما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز لا أنه مطالبٌ بغاية العدل في نفس الشيء المتصرف فيه ذاته)[٣].

(السابعة): رسائل التزكية والأعمال:

* هذه القاعدة مما ينبغي جعلها دستورًا للباعة لاسيما في أماكن الزحام والأسـواق، مما قد يستغل فيه الناس بعضهم بعضًا.

* أيها البائع: إنَّ السرقة في الميزان سمة أهل الجاهلية التي هدمها الشرع، فكن على حذرٍ منها.

* علّم عمالك هذه الآية منذ دخولهم إلى المحل والعمل فيه؛ حتى

---

(١) تفسير السعدي (٢٨٠).

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور (٨أ/ ١٦٦).

(٣) تفسير ابن عطية (٢/ ٣٦٣).

تكون لهم قانونًا يسيرون عليه في بيعهم وشرائهم، فدين الإسلام دين المعاملات والأخلاق، من علامات هلاك الأمم التطفيف في الميزان، ولذلك أمر الله بتحري القسط فيه.

❁ ❁ ❁

ج ـ الوصية الثامنة: العدل في القول والفعل:

﴿وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى﴾ يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: إذا حكمتم فأنصفوا، والثاني: إذا شهدتم فاصدقوا، والثالث: إذا توسطتم فلا تميلوا[1].

ذكر أن من أخل بإيفائه من غير قصد منه لا حرج عليه، ولم يذكر هنا عقابًا لمن تعمد ذلك، ولكن توعده بالويل في موضع آخر، ووبخ فاعله بأنه لا يوقن بالبعث، قال ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ [المطففين: ١ ـ ٦][2].

في التعليق بأداة الشرط: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ إشارة إلى أن المرء في سَعَةٍ

---

(١) تفسير الماوردي (٢/ ١٨٨).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٥٤٧).

من السكوت إن خشي قول العدل، وأمّا أن يقول الجور والباطل فليس له سبيلٌ إلى ذلك، والكذب يعد من القول بغير الحق والعدل، على أنّ من السكوت ما هو واجبٌ[١].

﴿قُلْتُمْ﴾ جاء التخصيص في الآية بالقول؛ لأنّ أكثر ما يكون فيه العدل بالقول، كالشهادة والحكم وغير ذلك[٢]، ولأنّ القول أحق من الفعل في الحفظ؛ لأنه به تظهر الحكمة من السفه، والحق من الباطل[٣].

﴿فَاعْدِلُوا﴾ هذه الكلمة عجيبة في عذوبة لفظها وقلة حروفها وجمعها لأمور كثيرة من العدل قولاً وفعلاً في الإقرار، والشهادة، والوصايا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلح بين الناس، والتعديل والتجريح، والشورى، والفتاوى، والأحكام، وغير ذلك، فالواجب على المسلم أن يعطي كل ذي حقٍّ حقّه، وأن يبيّن في كل أمر ما فيه من حق وباطل[٤].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٧).

(٢) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

(٣) تفسير الماتريدي (٤/ ٣١٧).

(٤) تفسير القاسمي (٤/ ٥٣٩)، وانظر: التفسير المنير للزحيلي (٨/ ١٠٠)، ومفاتيح الغيب للرازي (١٣/ ١٨٠)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٦)، والوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث

﴿فَاعْدِلُوا﴾ بالعدل تصلح شؤون الأمم والأفراد، وهو أساس الملك، وركن العمران، وقاعدة الحكم[١].

لما كانت النفوس مجبولة على الشفقة بذي الأرحام قال: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾؛ إذ المقصود من العدل بالقول طلب رضوان الله ﷻ، فلم يختلف ذلك بالقريب والبعيد[٢].

﴿وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى﴾ هنا مزلّةٌ من مزلّات الضعف البشري تجعل شعور الفرد بالقرابة هو شعورَ التناصر والتكامل والامتداد بما أنه ضعيفٌ ناقصٌ، ويجد في قوة القرابة سندًا لضعفه، ومن ثم يجعله ذلك ضعيفًا تجاه قرابته حين يقف موقف الشهادة لهم أو عليهم، أو القضاء بينهم وبين الناس[٣].

﴿وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى﴾ (لو): وصليةٌ تفيد المبالغة في الحال التي من شأنها أن يظنّ السامع عدم شمول الحكم إياها لاختصاصها من بين بقية الأحوال التي يشملها الحكم[٤].

الإسلامية، العدد (٤٤)، وتفسير السعدي (٢٨٠).

(١) المنير للزحيلي (٨/ ١٠٠).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٣/ ١٨٠).

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨/ ١٢٣٣).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦٧).

(الثامنة): رسائل التزكية والأعمال:

* العدالة سبب للرياسة وعلو المكانة.

* كن عدلاً في أقوالك وأفعالك مع جميع الناس.

* احذر من التعصب الذي يقع به بعض الناس؛ فيتهرب من الحق لصالح الهوى، أو القربى، وهذا عين الظلم.

* إن طبقت هذه الآية بحق بين الناس كالأزواج، والجيران، والأصحاب، فإنها ستقضي على كثير من النزاعات والخلافات.

* إن لم تستطع قول الحق، فإيَّاك وقول الباطل، فمن سكت عن الحق ـ كما قاله أبو علي الدقاق ـ شيطان أخرس[1].

* إن استدعيت أن تكون شاهدًا فاتخذ من هذه الآية منهج حياة.

❁ ❁ ❁

د ـ الوصية التاسعة: الوفاء بالعهد:

﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾، وتتضمن النقاط الآتية:

ناسب مجيء هذه الوصية بعدما سبق من أوامر ونواهٍ؛ لأنها وصيّةٌ جامعةٌ، فعلى المسلم أن يكون وفيًا مع الله فيما عاهده عليه من الاستقامة

---

(١) (٢) الرسالة القشيرية (١/ ٢٤٥).

على العقيدة، والبعد عن إيذاء الوالدين، وعدم قربان الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وصيانة النفوس، والمحافظة على مال اليتيم، وحسن التعامل في الكيل والوزن، وكل المبادلات التجارية، وبعبارة جامعة تطبيق العدل على الناس قولاً وفعلاً[١].

أمر ﷻ في هذه الآية الكريمة بالإيفاء بعهد الله، وصرح في موضع آخر أن عهد الله سيسأل عنه يوم القيامة، بقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، أي: عنه[٢].

وقدَّم المجرور على عامله للاهتمام بأمر العهد وصرف ذهن السامع له، ليتقرر في ذهنه ما يرد بعده من الأمر بالوفاء، والمعنى: إذا كنتم ترون الوفاء بالعهد مِدْحة فعهد الله أولى بالوفاء وأنتم قد اخترتموه[٣].

﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾ تأمر الآية المشركين بالوفاء بعهودهم في الجاهلية القائمة على نفي الظلم والجور عن القاطنين بمكة؛ وذلك كحلف الفضول، وحلف المطيبين، وهذا تحقيقٌ لعهد الله لإبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يجعل مكة بلدًا آمنًا، إلا أنهم اعتدوا على ضعفاء المؤمنين

---

(١) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

(٢) (١) أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٥٤٨).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨أ/ ١٧٠).

وظلموهم، فهو يخبرهم أنّ خَفْرَ عهد الله بأمان مكة، وخَفْرَ عهودكم بذلك، أولى بأن تحرموه من مزاعمكم الكاذبة فيما حرّمتم وفصّلتم[١].

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِۦ﴾ هذا التعقيب الإلهي البديع في موضعه يدلّ على عظم العهد وضرورة الوفاء به، وختمه بقوله ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ليبقى القلب دائم الذكر لعهد الله وميثاقه[٢].

ولما كان العدلُ في هذه الأفعال والأقوال شديدًا على النفس لكونها شهوات، تقدم بالترغيب فيها والترهيب منها بأن كل من يفعل شيئًا منها مع غيره يوشك أن يُفعَل معهُ مثلُه، فلذلك حضّ على التذكر في الوصية بها ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِۦ﴾، ولأنها خفية تحتاج إلى مزيد تدبر فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر ـ ولو على وجهٍ خفيّ بما أشار إليه الإدغام ـ فيما جبلت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم، فتحكموا لغيركم بما تحكمون به لأنفسكم[٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأن هذه المطالب الأربعة عُرِف بين العرب

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٧٠).

(٢) الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام: د. محمد بن أحمد الصالح. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٤).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣٢٠).

أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها، ولكنهم تناسوه بغلبة الهوى وغشاوة الشرك[١]، فحسن أن يذكّر بعضكم بعضًا، فإن التناصح واجب بين المسلمين[٢].

(التاسعة): رسائل التزكية والأعمال:

* الوفاء بالعهد من علامات المؤمنين، ونقضه سمةٌ للمنافقين والأفاكين.

* أعظم العهود ينبغي أن توفى عهدٌ قطعته على نفسك في فعل طاعة لله، أو ترك معصية في سبيله.

* الوفاء بالعهد شامل لجميع جوانب الحياة، فما أحوج الناسَ إلى تطبيقه بينهم.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٧٠).

(٢) الوسيط لطنطاوي (٥/ ٢٢١).

المطلب الثالث: الاستقامة على الصراط القويم.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

أولاً ـ التفسير الميسر للآية:

إن هذا القرآن الذي أدعوكم إليه وأدعوكم به إلى ما يحييكم، هو صراطي الذي لا عوج فيه ومنهاجي؛ الذي أسلكه إلى مرضاة الله ﷻ ونيل سعادة الدارين، إذ لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، فاتبعوه ولا تتبعوا السبل التي تخالفه وهي كثيرة، فتتفرق بكم عن سبيله، بحيث يذهب كل منهم في سبيل ضلالة ينتهي بها إلى الهلكة.

إذ ليس بعد الحق إلا الضلال[١].

ثانيًا: الفوائد والهدايات التربوية:

أ ـ الوصية العاشرة: الاستقامة على الصراط القويم:

التكاليف الخمسة المذكورة في الآية الأولى من الوصايا أمورٌ ظاهرة

(١) انظر تفسير المراغي (٨/ ٧٣).

جليّة؛ ولأجل تفهمها وتعقلها ختمت الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ولما كانت التكاليف الأربعة المذكورة في الآية الثانية من الوصايا أمورًا خفية غامضة، فكن لا بد فيها من الاجتهاد والفكر للوقوف على موضع الاعتدال، لهذا قال ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]، وبلوغ الكمال يتضمن فعل الفضائل وترك الرذائل، وتلك درجة التقوى، فجاءت العبارة في الآية الثالثة من الوصايا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]، وبتعبيرٍ آخر: ختم كلّ واحدةٍ منها بما ختم لأنه إذا كان العقل دعا إلى التذكير فحمل على التقوى[٣].

الوصية الأخيرة جامعة بين الأمر بالحق والنهي عن الباطل، وهي أم الوصايا الجامعة لما قبلها، ولغيرها[٤]، ولكل ما جاءت به دعوة الحق؛ فهي تدعو إلى السير على طريق الله، وشرعته، وأوامره، والابتعاد عن طرق الشيطان[٥].

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾[٦]، دخل في هذا الصراط كلُّ ما بيَّنه

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٣/ ١٨١)، بتصرف يسير.

(٢) تفسير ابن عطية بتصرف (٢/ ٣٦٤).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣٢١).

(٤) المنار لرشيد رضا (٨/ ١٧٢).

(٥) الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين (٣/ ١٦).

(٦) تفسير السعدي (٢٨٠).

الرسول ﷺ من دين الإسلام، ومن هنا وجب اتباعه وحرم العدول عنه إلى الشهوات والضلالات[١].

قال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: «اعلموا أنما السبيل سبيل واحد جماعة الهدى ومصيره الجنة، وأن إبليس اشترع سبلاً متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها النار»[٢].

أتى بـ ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى الإسلام، وإلى أنه حاضر في أذهان المخاطبين من أثر تكرر نزول القرآن وسماع أقوال الرسول ﷺ، بحيث عرفه الناس وتبيّنوه، فنزل منزلة المشاهد، فاستعمل فيه اسم الإشارة الموضوع لتعيين ذاتٍ بطريق المشاهدة مع الإشارة[٣].

عدل عن طريقة الغيبة إلى المتكلم، التي جرى عليها الكلام من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ لغرض الإيماء إلى عصمة هذا الصراط من الزلل، لأن كونه صراط الله يكفي في إفادة أنه موصل إلى النجاح، فلذلك صح تفريع الأمر باتباعه على مجرد كونه صراط الله[٤].

---

(١) تفسير الرازي (١٤/ ١٨٥)، وانظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (٤/ ٦٩٢).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٣/ ٣٨٥).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٧٢).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾، أهمية بيان حقيقة الشيء قبل الأمر به أو النهي عنه.

﴿صِرَاطِي﴾ الظاهر أنّ إضافته هنا إلى النبيّ ﷺ، لأنه هو المخاطب للناس بهذه الوصية وفعلها مسند إليه ﷻ بضمير الغيبة،[١] ومعنى إضافتِه إلى ضميره ﷺ انتسابه إليه ﷺ من حيث السلوكُ لا من حيث الوضعُ، وإن كانت نسبته إلى الله (صراطي) فإنه يدل على شرفه[٢].

﴿فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ تفيد بوجوب الاتباع وترك الابتداع، الذي يؤدي إلى الفرقة والاختلاف، وهنا ـ كما يلاحظ ـ أنه ﷻ أفرد الصراط وعدد السبل وفي أول السورة وحّد النور وجمع الظلمات فناسب آخرها أولها، وأفاد أن الحق واحد والباطل متعدد[٣].

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ أهمية استخدام أسلوب (افعل) و(لا تفعل)، وهو من أنفع الأساليب في التحصيل، والتربية، وتنمية الفاعلية الذاتية.

---

(١) المنار لرشيد رضا (٨/ ١٧١).

(٢) تفسير أبي السعود (٣/ ٢٠٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٧)، وتفسير القاسمي (٤/ ٥٤٠)، وتفسير البيضاوي (٢/ ١٨٩)، وتفسير السعدي (٢٨٠).

قال ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله[١].

﴿السُّبُلَ﴾: هي الطرق، ووقوعها هنا في مقابلة الصراط المستقيم يدل على صفة محذوفة، أي سبل متفرقة غير مستقيمة، تجعل سالكها منحرفًا عن السبيل الصحيح[٢]، وهذه ﴿السُّبُلَ﴾ تعمّ اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل والبدع من أهل الأهواء والضلالات[٣].

فسّر مجاهد رحمه الله ﴿السُّبُلَ﴾ بالبدع والشبهات والضلالات[٤] لذلك قال: (مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَعْظَمُ: أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلَامِ، أَوْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الأَهْوَاءِ)[٥]، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ، وَأَخْرَجَ نُورَ الْإِسْلَامِ مِنْ قَلْبِهِ)، وقال سفيان الثوري رحمه الله: (الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ)[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٥).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٧٣).

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ١٣٨)، تفسير القاسمي (٤/ ٥٤٠).

(٤) تفسير مجاهد (١/ ٣٣١)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٣٨).

(٥) تفسير القرطبي (٧/ ١٤١)، رواه الدارمي في سننه (ص:١٦٠).

(٦) تفسير القرطبي (٧/ ١٤١)، وأصل القول في شعب الإيمان للبيهقي (١٢/ ٥٤).

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾: الباء للتعدية؛ فهو أبلغُ من تُفرِّقُكم، كما قيل من أنّ (ذهَبَ به) لما فيه من الدلالة على الاستصحاب أبلغُ من (أذهبه)[١].

وقد شرح النّبي ﷺ هذه الآية شرحًا عمليًا بما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا»، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[٢].

قال الرازي: هذه الآية تدل على أنّ كلّ ما كان حقًا فهو واحدٌ ولا يلزم منه أن يقال: إنّ كلّ ما كان واحدًا فهو حقٌّ، فإذا كان الحق واحدًا كان كل ما سواه باطلاً، وما سوى الحق أشياء كثيرة، فيجب الحكم بأن كل كثير باطل، ولكن لا يلزم أن يكون كل باطل كثيرًا[٣].

وفي الآية دليلٌ على منع النظر والرأي، مع وجود النص[٤].

---

(١) تفسير أبي السعود (٣/ ٢٠٠).

(٢) مسند أحمد (٧/ ٤٣٦)، قال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، ورواه غيره بألفاظ متقاربة.

(٣) تفسير الرازي (١٤/ ١٨٦).

(٤) تفسير القاسمي (٤/ ٥٤٠)، وانظر قوله في كتابه أحكام القرآن (٣/ ١٢٨).

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كرر التوصية ليكون ذلك آكد في القول، فيكون أدعى للقبول، ولما كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف وأمر ﷻ باتباعه ونهى عن بُنيّات الطرق ختم ذلك بالتقوى التي هي اتقاء النار، إذ من اتبع صراطه نجّاه النجاة الأبدية، وحصل على السعادة السرمدية[١].

﴿تَتَّقُونَ﴾ كلمة التقوى تشمل كل ما يتقى من الضرر العام والخاص مهما يكن نوعه، وقد ذكرت في التنزيل في سياق الأوامر والنواهي المختلفة من عبادات ومعاملات، وآداب وقتال، وسنن اجتماع، وطعام وشراب، وعشرة وزواج وغير ذلك، فهي تفسر في كل موضع بحسبه. وهي في هذا الموضع تشمل الأنواع كافة، لأنها جاءت في سياق اتباع صراط الله المستقيم الشامل لأنواع الهداية[٢].

(العاشرة): رسائل التزكية والأعمال:

* الوصية بالاستقامة من أعظم الوصايا النبوية؛ ولهذا قال ﷻ لنبيه ﷺ، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢]، وفي صحيح مسلم، عن سفيان بن

---

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (٤/ ٦٩٢)، وانظر: نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣٢١).

(٢) المنار لرشيد رضا (٨/ ١٧٤).

عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»[١].

* أعظم الهدايات أن يهديك الله أيها العبد إلى الصراط المستقيم، هذا الصراط الذي أوله في الدنيا وآخره في الآخرة.

* خير طريق للنجاة من الفتن اتباع السبيل الذي أمر الله ﷻ به عباده المؤمنين.

(١) رواه مسلم رقم (٣٨) في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام. (١/ ٦٥).

الخاتمة

تضمنت الخاتمة النتائج الآتية:

أولاً: إن الوصايا العشر ـ التي جاءت بها آيات سورة الأنعام ـ قد وضعت أسس العقيدة السليمة والأخلاق المستقيمة.

ثانيًا: وضعت هذه الوصايا العشر المعالم الرئيسة لأسرة فاضلة قاعدتها الإحسان بالوالد والرحمة بالأولاد، وحفظ حقوق الضعفاء كالأيتام.

ثالثًا: تساعد هذه الوصايا ـ إن فهمت وطبقت على وجهها الصحيح ـ في حفظ المجتمع الإسلامي من التصدع عن طريق تحريمها انتهاك الأنفس والأموال والأعراض، ثم ربطت كل ذلك بتقوى الله التي هي مناط الأمر والنهي.

رابعًا: إن الحاكمية لله ﷻ، فهو الحاكم الأوحد ذو السلطة المطلقة، قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

خامسًا: ضرورة تمسك المسلمين بوحدتهم مهما دهمتهم الخطوب وتكالبت عليهم الأمم والشعوب، فالوحدة هي طوق النجاة والحصن الحصين لأمة الإسلام.

سادسًا: إذا سلكت البشرية صراط الإسلام المستقيم فلسوف تهتدي تمام الاهتداء، ولسوف تمضي في طريق الحق والسداد بعيدًا عن كل ظواهر الزيغ والضلال، وسوف تعيش ـ في ظلال الإسلام الوافرة الرخية ونسائمه المشرقة الندية ـ عيش الآمنين الكرماء، وتحيا حياة المطمئنين السعداء.

تمت بحمد الله ﷻ

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، د/ ط.

٣ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١/ ١٤١٨هـ.

٤ ـ البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر (بيروت)، ط: ١٤٢٠هـ.

٥ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي (القاهرة).

٦ ـ تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م.

٧ ـ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر (تونس)، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٨ ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر (الفجالة ـ القاهرة)، ط: الأولى.

٩ ـ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١٠ ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١١ ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم): أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز (المملكة العربية السعودية)، ط: الثالثة ـ ١٤١٩ هـ.

١٢ ـ تفسير القرآن الكريم ـ الأجزاء العشرة الأولى: محمود شلتوت، دار الشروق (القاهرة)، ط١٢/ ١٤٢٤هـ.

١٣ ـ تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، ت: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة (مصر)، ط١/ ١٤١٠ هـ.

١٤ ـ تفسير المراغي (أحمد مصطفى المراغي ت١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١/ ١٣٦٥ هـ.

١٥ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر (دمشق)، ط٢/ ١٤١٨ هـ.

١٦ ـ التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (السعودية)، ط٢/ ١٤٣٠هـ.

١٧ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ.

١٨ ـ جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ.

١٩ ـ الجامع الكبير ـ سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ١٩٩٨م.

٢٠ ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية(القاهرة)، ط٢/ ١٣٨٤هـ.

٢١ ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد

زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١/ ١٤٢٢هـ.

٢٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة ـ بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٢٣ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر(بيروت).

٢٤ ـ زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي): جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١/ ١٤٢٢ هـ.

٢٥ ـ شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي ـ الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع (الرياض)، بالتعاون مع الدار السلفية (بومباي ـ الهند)، ط١/ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

٢٦ ـ لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر(بيروت)، ط٣/ ١٤١٤ هـ.

٢٧ ـ محاسن التأويل (تفسير القاسمي): محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية(بيروت)، ط١/ ١٤١٨ هـ.

٢٨ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٩ ـ المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١/ ١٤١١هـ.

٣٠ ـ مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، ت: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر (بيروت)، ط١/ ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٣١ ـ مفاتيح الغيب=التفسير الكبير (تفسير الرازي): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط٣/ ١٤٢٠ هـ.

٣٢ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم، دار الشروق (القاهرة).

٣٣ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة).

٣٤ ـ النكت والعيون (تفسير الماوردي): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت).

فهرس الموضوعات

مقدمة مشرف مركز تدبر ٦
تقديم الدكتور ثائر الحلاق ٨
تقديم الشيخ أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد ١٣
مقدمات بين يدي الآيات: ١٧
أولاً: تعريف بسورة الأنعام: ١٨
ثانيًا: الغرض من السورة: ٢٠
ثالثًا: المناسبة: ٢١
الوصايا: ٢٣
توطئة: ٢٣
المطلب الأول: أصول جامعة ٢٥
أولاً: التفسير الميسر للآية: ٢٦
ثانيًا: الفوائد والهدايات التربوية: ٢٦
أ ـ الوصية الأولى: نبذ الشرك بالله ٢٦
(الأولى): رسائل التزكية والأعمال: ٣٠

ب ـ الوصية الثانية: بر الوالدين: ٣١
(الثانية): رسائل التزكية والأعمال: ٣٤
جـ ـ الوصية الثالثة: تحريم وأد البنات ٣٥
(الثالثة): رسائل التزكية والأعمال: ٣٨
د ـ الوصية الرابعة: تحريم اقتراف الفواحش: ٤٠
(الرابعة): رسائل التزكية والأعمال: ٤٣
ه ـ الوصية الخامسة: منع قتل النفس بغير الحق: ٤٤
(الخامسة): رسائل التزكية والأعمال: ٤٩
المطلب الثاني: وصايا اجتماعية ٥١
أولاً ـ التفسير الميسر للآية: ٥١
ثانيًا ـ الفوائد والهدايات التدبرية: ٥٢
أ ـ الوصية السادسة: المحافظة على مال اليتيم: ٥٢
(السادسة): رسائل التزكية والأعمال: ٥٧
ب ـ الوصية السابعة: إيفاء الكيل والميزان بالقسط: ٥٩
(السابعة): رسائل التزكية والأعمال: ٦٣
ج ـ الوصية الثامنة: العدل في القول والفعل: ٦٣
(الثامنة): رسائل التزكية والأعمال: ٦٦
د ـ الوصية التاسعة: الوفاء بالعهد: ٦٦

(التاسعة): رسائل التزكية والأعمال: ٦٩
المطلب الثالث: الاستقامة على الصراط القويم. ٦٩
أولاً ـ التفسير الميسر للآية: ٧٠
ثانيًا: الفوائد والهدايات التربوية: ٧٠
أ ـ الوصية العاشرة: الاستقامة على الصراط القويم: ٧٠
(العاشرة): رسائل التزكية والأعمال: ٧٦
الخاتمة: ٧٦
فهرس المصادر والمراجع: ٧٨
فهرس الموضوعات: ٨٥